فن الرواية العربية في الاتجاه الواقعى
روايات الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى نموذجا

د. ثريا العسيلى

فى هذا البحث نتعرف على أهم ملامح الرواية العربية الواقعية من خلال روايات الكاتب والشاعر الكبير عبد الرحمن الشرقاوى الأربع: الأرض، قلوب خالية، الشوارع الخلفية، الفلاح.

وفى البداية أقدم نبذة سريعة عنه وعن إبداعه المتنوع.

ولد الشاعر والكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى فى ١٠ نوفمبر ١٩٢٠م فى قرية الدلاتون بالمنوفية وتوفى فى ١٠ نوفمبر عام ١٩٨٧م. وبين هذين التاريخين كان الشرقاوي مبدعا متنوع الانتاج، لم يترك فنا أدبيا إلا وأسهم فيه بنصيب، ولم يقتصر تنوع إنتاجه على الفنون الأدبية المختلفة فحسب، بل امتد إلى المضمون وأدوات التعبير في الشعر الغنائي.

كتب قصائد ضمنها ديوانيه من أب مصرى إلى الرئيس ترومان،وديوان تمثال الحرية وقصائد منسية.

و فى المسرح الشعرى كتب مسرحيات مأساة جميلة،الفتى مهران، تمثال الحرية، وطنى عكا، الحسين ثائرا،الحسين شهيدا، النسر الأحمر، عرابى زعيم الفلاحين. وقد اتخذ من الشعر الجديد، شعر التفعيلة، لغة للحوار.

وفى هذه المسرحيات، استلهم الشرقاوي أحداثا تاريخية لها وميضها الخاص إذ تحتوى على محطات انتصار حاسمة، وتحولات اجتماعية كبرى.

أما قصص عبد الرحمن الشرقاوى القصيرة فقد تابع نشرها فى الصحف منذ عام ١٩٤٧، ونشرها فى مجموعتين ضمن الأعمال الكاملة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٨.

وله فى مجال الرواية روايات الأرض عام ١٩٥٣، قلوب خالية عام ١٩٥٧، الشوارع الخلفية ١٩٥٨، الفلاح عام ١٩٦٨.

وقد تحولت هذه الروايات إلى أفلام سينمائية حققت رواجا كبيرا لدى المتلقين.

وفى المرحلة الأخيرة من حياته اهتم الشرقاوى بفن السيرة فكتب محمد رسول الحرية،الأئمة التسعة، على إمام المتقين،الفاروق عمربن الخطاب،والصديق أبو بكر أول الخلفاء.

وللشرقاوى مقالات متنوعة فى مجالات مختلفة منها باندونج والسلام العالمى، ورسالة إلى شهيد، وقد استمر فى كتابة مقالاته الأسبوعية بجريدة الأهرام تحت عنوان خواطر حرة، حتى وفاته حين نتأمل إنتاج الشرقاوى فى الشعر، والمسرح الشعرى،والقصة القصيرة،والرواية، ونتتبع مساره، وموقفه الفكرى،يدهشنا نجاحه في توظيف أدواته الفنية فى التعبير عن تصوراته الفكرية، وموقفه من الواقع ونلحظ الخصائص الفنية المتميزة التى شكلت البناء الفني فى كل فن من الفنون الأدبية التى قدمها وإدراكه لطبيعة كل نوع من الأنواع الأدبية التى تشكلت خلالها موضوعاته، وتوفيقه فى اختيار الزمن الذى أدار فيه أحداث أعماله الفنية، لتتناسب مع المضامين التى عبر عنها هذه العلاقات المتشابكة بين الفنون الأدبية المتنوعة لدى الشرقاوى، والرؤية،والفلسفة الخاصة التى تمثلت فى أعماله كلها مثل التزامه بقضاياالإنسان فى مجتمعه، واهتمامه بالتعبير عن فكره فى كثير من القضايا السياسية والاجتماعية الهامة، حتى بدت أعماله مرآة صادقة لفكره ومواقفه من مجتمعه، ومن الإنسان،ومن الحياة عموما، فقد التزم بكل القضايا الهامة فى مختلف الألوان الأدبية التى أبدعها لقد كان الشرقاوى من الكتاب الذين مارسوا الكتابة بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ثم قامت ثورة يوليو ١٩٥٢، وبدأ الأدباء والكتاب والنقاد يتجهون إلى الواقع،متطلعين إلى تطوير لغة الأدب، مهتمين بحركة الواقع

وتحولاته.

أما أشعار الشرقاوى التى جمعها فى ديوانين، فقد قدمت رؤية الشرقاوى السياسية والاجتماعية، وتوسل فى هذه الأشعار بشعر التفعيلة.

وفى مسرحه الشعرى تبدو آثار هذه الشبكة المتشعبة المتلاحمة من العلاقات الفنية والفكرية في البنية الفنية لكل مسرحية والتى تنهل من التراث العام،ومن المسرح الشعري العربي، والمسرح الشعرى العالمى، وأيضاً من تراثه الخاص وهوالشاعرالتفعيلى، وكاتب الرواية، وكاتب القصة القصيرة، وقد عالج فى كل كتاباته قضايا وطنه، وأمته، وعالمه، واستلهم فى مسرحه الشعري أحداثا تاريخية لها وميضها الخاص، إذ تحتوي على لحظات انتصار حاسمة وتحولات اجتماعية كبرى، وقد وظف فى الحوار شعر التفعيلة الجديد والذى كان من رواده.

واستمد أغلب شخصياته من التاريخ، أما القصة أو الحكاية بمسرحه فقد اختارها من مصادر ثلاث هي واقع وطنه العربى، أو كتب التاريخ، أو الأدب الشعبى.

وتشير عناوين مسرحياته إلى توجهه إلى الواقع أيضا أما إنتاجه فى القصة القصيرة فقد جمعه في مجموعتين قال الشرقاوى فى مقدمته للمجموعة الأولى إنها مجموعة صور من كفاحنا الشعبى، وهى ليست قصصا بالمعنى الفنى، وليست تاريخا بالمعنى العلمى ولكنها صور استقرأتها من التاريخ، ومن حكايات الناس فى قريتى، لم أضف لها شيئا ولم أعمل خيالا فكل ما فيها يعتمد على واقع تاريخى صحيح، إنها تصوير لبطولة شعبنا عبر الأجيال، فى تاريخه، وتصوير لملامح مقاومة الشعب الشجاعة، برجاله،ونسائه، وحتى أطفاله، بمثقفيه وعماله، وتجارة، وفلاحيه، وشيوخه، ورجال الدين فيه.

وإذا فقد اختار الشرقاوى لهذه المجموعة قالب الصورة،الذى يعرض القصة والشخصيات من خلال الملاحظة والتسجيل، فالقصة فى هذه المجموعة تروى أخبارا وتقوم بتسجيلها.

أما المجموعة الثانية أحلام صغيرة فقد تضمنت قصص أحلام صغيرة، لحظة، المعجزة،

الدرس الأول، طالبة، العقرب تجربة، الخادم، أيام الرعب، بركة الفيل، فى المطر،وهى تعبر عن القضايا الاجتماعية، وعما يكتنف الإنسان من انفعالات ويقول فى مقدمتها: هذه مجموعة من القصص، وفيها أول قصة كتبتها عام ١٩٥٦ كلها محاولات للتعبير عن لحظات من العمر،عن الأفكار والانفعالات والآمال التى هى الإنسان.

أما الرواية فى إنتاج. الشرقاوى وهى موضوع بحثي، فقد كتب روايات الأرض عام ١٩٥٢، قلوب خالية عام ١٩٧٥، والشوارع الخلفية عام ١٩٥٨، والفلاح عام ١٩٦٨.

وكان للظروف الاجتماعية والسياسية التى عاشها الشرقاوى فى قريته وأرضه، أثارها الواضحة في الإبداع الروائي لديه وقبل أن أقدم الدراسة الفنية الدقيقة لروايات الشرقاوي، أعرض لهذه النقاط الأساسية التي أعتبرها المحاورالرئيسية لدراسة الرواية في عدة نقاط.

أولا

لاشك أن قارئ الرواية يظل طوال قراءته لها يعايش مشاعر إنسانية فياضة، من خلال تلك النزعات الإنسانية،والمشا عر،والأفكار،والمواقف،والأحداث،والصر اعات، والحوارات التي تعبر الشخصيات من خلالها عن تجاربها الحياتية الواقعية.

ثانيا

الرواية الفنية الجيدة تتضمن فى بنيتها خلاصة التجربة الإنسانية لكل شخصية بها، ذلك لأن الرواية جنس أدبى يحفل بالتجربة الإنسانية فهى ضرب من الإبداع النثرى له مهمة خاصة به، وهى أن تقص أعمال الإنسان العادى فى حياته العادية،بعد أن تضعه فى شبكة من الحوادث كاملة الخطوط، متتبعة كل فعل إلى أدق أجزائه وتفصيلاته، وسوابقه، ولواحقه، موغلة فى دخيلة النفس حينا لتبسط مكنوناتها أثناء وقوع الفعل، مستعرضة الآثار الخارجية للفعل حينا آخر، لا تترك من جوانبه وملحقاته شاردة ولا واردة إلا وسجلتها فى أمانة وصدق كما تحدث فى الحياة الواقعية التى يخوضها الناس ويمارسونها.

ثالثا

إن الرواية تحاول من خلال تقديم حياة الإنسان أن تصور مشاعره، ونزعاته فى مسيرته الحياتيةوبكل تأثراته بمواقف الحياة المعقدة المتعددة وبما يكتنفها من حكايات الفشل أو النجاح والسعادة أو البؤس، المخاطر أوالآمال.

رابعا

إن الرواية نموذج فنى يتصل بكثير مما يهم الناس فى حياتهم الواقعية مما

يضمنه كاتب الرواية روايته. ومعروف أن المادة الروائية التى تشبه الواقع يجب أن تبدو غير قابلة للنفاد، الروائي يقدم فى روايته مايعتقد أنه مقنع للقارئ ومسل أيضا، وهو لا يقدم الرئيسيات فحسب لكنه قادر على أن يقص أكثر وأكثر وكأن هناك اتفاق بين القارئ والمؤلف، فالمؤلف يقدم الحكاية التى لا يكفي أن تحقق التسلية للقارئ فحسب، بل يجب أن تحقق الإقناع أيضا، بحيث ينسى القارئ أن كل مايقرأ هو مجرد اختلاق بل يشعر أن الكتاب الذى بين يديه هو وثيقة حقيقية، أو ترجمة لحياة بشر فهو يعتقد أنها قصة عيشت فعلا وكأنها تتحدث عن أحداث حقيقية،وأناس حقيقيين بكل مايحرك مشاعرهم وأفعالهم من نزعات إنسانية حقيقية.

إن الروائي، يخترع حكايات، ومواقف وأحداث ويحرك الشخصيات، لينقل رؤيته إلى المتلقّى وهو يعرف كيف يقص حكاية من خلال أحداث درامية مؤثرة، وعناصر مترابطة بطريقة ذكية واعية.

خامسا

البنية الفنية الروائية لاتعتمد على حكاية فحسب فهى تحكى قصة من القصص ويقوم بناؤها على بشر يقومون بفعل والروائي يحتاج لتجسيد فعلهم إلى تصور ماعن طبيعة الفعل البشرى، وهذا التصور يحكمه دائما قانون إنسانى هام، هو أن الفعل البشرى لايحدث إلا بدوافع تحكمها النزعة الإنسانية التى فطر الله الناس عليها، بكل ماتحمل من مشاعر الخير، وأيضا مشاعر الشر، ومن تعبيرها عن قيم وفضائل، ونقائضها من أفعال سيئة وشرور.

سادسا

يساعد الموضوع الذى يختاره الروائي لروايته علي عرض المضامين والأفكار التى تساعد علي إبراز النزعة الإنسانية بكل ماتحتوى من دوافع الخير التى يجسدها الروائى فى أبدع صورها، كما تتضمن نوازع الشر التى يجسدها أيضا فى صور تقنع ببشاعتها، وعلى الروائى الذى يمتلك الأدوات الفنية لكتابة الرواية أن يوظفها توظيفا موفقا حتى يحقق للمتلقى عنصرى الاستمتاع والاقتناع فى آن واحد.

سابعا

يكون للرواية محور تدور عليه أحداثها، وإذا كان هناك أكثر من محور للرواية، فلابد من التوفيق بين هذه المحاور حتي يبدو البناء متماسكا،وتأتى الأحداث فى الرواية مرتبة وفق تتابع زمنى، ولا تقع الأحداث فيها عفويا، وإنما هى سلسلة متصلة، ترتكز على شعور الأديب بالواقع ورؤيته للكون، وللإنسان، وللحياة عموما، وتتتابع الأحداث حتى تؤدى إلى النهاية.

ويحترم الروائي التجربة الإنسانية، فيبرز من خلال أفعال شخصيات روايته، كل مايؤثر فيها من أفكار، ودوافع، ونزعات إنسانية، وكيفية مواجهتها للواقع، مجسدا التجربة الفردية لكل شخصية، فتبدو كل شخصية بالرواية متفردة فى سماتها ونزعاتها ومشاعرها، وإن كانت النزعة الإنسانية العامة تهيمن عليها.

ثامنا

الروائي الجيد لايقدم الفعل البشرى فى روايته نابعا من إرادة فرد واحد بطل يتحكم فى آخرين، وتخضع أفكار الآخرين لفكره وحده بل وأيضا لأ وهامه وخواطره العابرة.

تاسعا

لابد أن نذكر أن الرواية. هى الجنس التعبيري المفتوح على بقية الأجناس الأدبية الأخرى، وهى كتاب خليط متصل بسيرورات تعدد اللغات وأصوات وتفاعل الكلام، والخطابات والنصوص.

ومن خلال هذه الرؤى النقدية الهامة التى أتبناها فى دراستى لفن الرواية العربية الواقعية، أقدم في هذه الدراسة لروايات عبد الرحمن الشرقاوى الأربع، الأرض،قلوب خالية، الشوارع الخلفية، الفلاح، كنماذج متميزة للرواية العربية الواقعية. مع التركيز على أهم المحاور التى تتكون منها البنية الروائية.

أولا: رواية الأرض

نشرها مسلسلة فى جريدة المصرى عام. ١٩٥٣ ثم فى كتاب ١٩٥٤، وكان كما قال عنه الدكتورعبد المحسن طه بدر فى كتابه الروائي والأرض موفقا فى اختياره لزمنها عهد صدقى لأن الفلاح فى هذه الفترة تعرض لأقصى ضروب الظلم حتى أصبح من المنطق أن يصل إلي أعنف ضروب المقاومة وتقع أحداثها فى سنوات الثلاثينيات بين عامى ١٩٣٢ - ١٩٣٣ حيث تشهد أرض القرية صراعا حقيقيا بين الفلاحين والمستغلين،ويشتد النضال من أجل الحصول على الماء لرى الأرض، وتتضمن الرواية حكايات جانبية عن علاقات عاطفية بين الشخصيات.

ثانيا : رواية قلوب خالية

تحكى قصة راويها الطالب بكلية الحقوق. وتدور حول محورين أولهما الحرمان الجنسي لدى الشباب، وثانيهما آثار الحرب فى حياة الناس. والرواية. كأنها امتداد لرواية الأرض، وتحمل الكثير من المضامين السياسية.

ثالثا : رواية الشوارع الخلفية

وتدور أحداثها فى شارع عزيز الصغير الواقع فى بركة الفيل حيث كان الشرقاوى يعيش مع إخوته أثناء دراسته الجامعية، ومن مقدمة الشرقاوى نعرف هدفه من كتابتها.

رابعا : رواية الفلاح

وهى تجمع بين السياسة والحب، والدفاع عن الفلاح المظلوم، وتتحرك بها شخصيات كثيرة فى مواقف مختلفة لتعرض مشكلات القرية.

إن أهم ما يميز روايات الشرقاوى، الحيوية، والصدق، والنجاح، فى إقناع القارئ أن ما يحدثه عنه قد حدث حقيقة لأشخاص حقيقيين.

لقد ارتبطت الحكاية بالقرية المصرية وأحيانا باتصالها بالقاهرة، العاصمة،. واستمدت عناصرها الحكائية من هذا العالم المكانى، ومن تحركات الشخصيات وصراعاتها خلال أزمنة تميزت بألوان من الصراعات بين أفراد الشعب وبين السلطة.

وحين أتأمل أهم المحاور التى تتكون منها البنية الروائية وهى:

أولا: الحكاية

ثانيا: الشخصيات

ثالثا: اللغة الروائية

نري أن الحكاية فى روايات الشرقاوي قدعبرعنها بطريقته الفنية، وبأدوات تعبيره الخاصة من خلال لغته الروائية،وتصويره للشخصيات، والأحداث.

مثلا بالنسبة لرواية الأرض

الحكاية فيها :

تحدث فى سنوات الثلاثينيات بين عامى ١٩٣٢ – ١٩٣٣ خلال السنوات الحالكة فى حكم مصرحيث يتحكم صدقي ديكتاتور الملك فاروق من مكتبه فى القاهرة وأحداث القصة تدور فى القرية التى تشهد صراعا حقيقيا بين الفلاحين الذين يفلحون الأرض، وهؤلاء الذين يستغلونها دون أن يعملوا، ويبدو الاستغلال فى صور كثيرة، الضرائب، بيع وشراء منتجات الأرض، تحديد دورات الرى لأرض الفلاحين وأخيرا انتزاع الأرض، ويشتد النضال من أجل الحصول على الماء للأرض والاحتجاج علي القوائم الانتخابية التى تضم أسماء منها من ليسوا على قيد الحياة، والتمرد على نجاح مرشح الحكومة دائما، ويتصاعد النضال حتى يصل فى وقت إلى نضال بين الفلاحين بعضهم البعض، كل منهم يتعارك مع جاره، مطالبا بحق أرضه فى الرى، حتى يصبح فيهم أحدهم: دى البلد كلها من دم واحد برضه والدم مش ميه. بعدها يأخذ النضال شكلا آخر ضد محاولات انتزاع الملكية، ويرتبط الجميع الفلاحون ومعهم الفرسان القادمون من أسوان الهجانة، وحراس السجون، يتحد الجميع فى المقاومة والنضال.

وهكذا ينتهى الجزء الأول الذى تعرفنا خلاله علي شخصيات كثيرة،وعلاقات بالغة الخصوصيةونزعات ومشاعر وحب، وبغض، ولاغرابة فى أن تستوعب الرواية كل هذا الحشد من المشاعر، والنزعات الإنسانية الطبيعية، التي فطر الخالق سبحانه الإنسان عليها.

وحين نأتي إلي الجزء الثاني من الرواية، نتعرف على أوجه النضال ومحاولات نزع الملكية بالقوة، والمقاومة السرية، والهجوم الليلى، واشتراك النساء فى النضال، وحبس الرجال وإطلاق سراحهم، وتتحدث الحكايةعن أحداث تؤكد الوعى الاجتماعى لدى الفلاحين فى القرية، والذى تحركه دائما وتدفعه وتغذيه وتقويه النزعة الإنسانية التى تمتلك كل القدرة علي التأثير فى الفعل الإنسانى.

وقد تضمنت رواية الأرض حكايات جانبية أخرى عن علاقات جانبية بين الشخصيات فمثلا وصيفة الفتاة الجميلة يحبها عبد الهادى وهى تشعر بحبه وبحب آخرين من شباب القرية، معلم القرية محمد أفندى،وأخيه دياب الفلاح. وتؤكد هذه الحكايات العاطفية على النزعات الإنسانية التى خلقها الله سبحانه فى الإنسان فتحرك عواطفه نحو الجنس الآخر بما يسمى عاطفة الحب فهويميل بطبيعته إلى شخص معين يفضله على الآخرين، ويشعر إزاءه بمشاعر من الشوق والرغبة فى التوحد.

والحكاية فى رواية قلوب خالية :

تحكى عن بطلها راويها الذى لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره،وهو طالب بكلية الحقوق، وتبدأ أحداثها وهو

يجلس فى عربة أوتوبيس وإلى جواره سيدة ووراءها ابنتها الشابة الجميلة، وابنها، ويتمنى طوال رحلته من شبرا إلى قريتهم قرب بنها أن يتقدم الصغير ليجلس جوار أمه حتى ينعم هو بالجلوس جوار الفتاة، ويملأ البطل الشوق إلى الوصول إلى قريته التى يأتى إليها فى مطلع إجازة الصيف، ويسمع صوت الفتاة فينتابه إحساس غريب ينفذ إلى عظامه.

وهكذا نرى أن الحكاية تهتم بمحورين

المحور الأول هو الحرمان الجنسى الذى يعانى منه الكثير من الشباب فى القرية وفى المدينة والتعبير عن هذا الجانب هو تعبير عن نزعة إنسانية طبيعية،وفطرة إنسانية، لابد من إشباعها عند الإنسان وهى فى مجتمعنا الإسلامى لابد أن تشبع فى إطار الدين واحترام شريعته وقوانينه والحكاية،عموما تدور فى نفس إطار رواية الأرض، مع اختلاف الأحداث والمواقف والمشكلات لكن النزعة الإنسانية البارزة فى الروايتين هى صراع البشر فى سبيل حريتهم وأرضهم وكرامتهم واستماتتهم فى الدفاع عن قضاياهم الهامة، وتضحيتهم بأرواحهم فى سبيلها.

وقد وظف الكاتب أدواته الفنية ليحمل الرواية هذا المضمون الهام، إلى جوار الكثير من المضامين السياسية، وجعل خاتمتها فاجعة مليئة بالدموع، والدماء، والنيران، ليحدث فى المتلقّى التأثير الذى يتناسب مع نزعتهم الإنسانية، المعادية للظلم والاحتلال،والمقاومة ضد الطغيان، والعدوان.

أما الحكاية فى رواية الشوارع الخلفية :

فهى تتناول الآثار والمشكلات التى تحدثها الحرب فى حياة الناس ونفوسهم، والتغيرات التى تفرضها على أخلاقهم وعاداتهم، والأزمات التى تحدث فى القرية الهادئة، وتقدم الأحداث آثار الحرب وما ينشأ عنها من معاناة للناس، فغلاء الأسعار يسبب الشجار والنزاع، كما يظهر فى مواقف بين ركاب الأوتوبيس وتزداد آثار الحرب وضوحا فى أحداث الأجنبى وللظلم.

كما تعكس الكثير من النزعات الإنسانية الطبيعية التى تعبر عن حب الإنسان لوطنه، ولبلده، وذلك من الكاتب لمشاعره العميقة نحو بلدته، وارتباطه الشديد بقريته، وأهله، وأصدقائه، فالكاتب يلتقى بالفتاة يسرية فيكتشف أنها تلك البنت التى كان يلعب معها فى طفولته وتقفز إلى ذاكرته المواقف المعبرة عن ذكريات غرامه الفاشل فى الجامعة، ويذكر بلدياته الذين تعرف عليهم فى الأوتوبيس فتتنقل ذاكرته بين ذكريات طفولته وهذه المواقف التى تدور حوله فى الأوتوبيس، حتى يصل الأوتوبيس إلى قريته، فيدخلها ونفسه تمتلئ بحب غريب لكل شيئ، وهنا يصل التعبير إلى قمته فى انعكاس النزعة الإنسانية المتأصلة فى نفس الكاتب، والتى تعبر عن حبه لبلده الصيفية بالقرية ويحكى لنا مامر به من أحداث وما شهد من الآثار التى أحدثتها الحرب العالمية الثانية فى حياة القرية على امتداد الرواية.

كما يصور تجمعات الفلاحين، واجتماعه مع أصدقائه من الشباب وحكاياتهم عن مشاعرهم ومعاناة كل منهم وهذا التصوير يؤكد النزعة الإنسانية التى تتأصل فى النفس البشرية والتى تعبر عن محبة الإنسان الفطرية للانتماء إلى غيره من الناس، والتعاون معهم، والارتباط بهم وفى مقدمة هذه الرواية الشوارع الخلفية يقول عبد الرحمن الشرقاوى: لكل منا شيء يحتفظ به، ويكتمه عن الآخرين، ولا يحب أن يعرفه أحد غيره، شئ ما خاص جدا، ربما كان سره، أو حقيقته، ونحن نمضى فى حياتنا حريصين فى الغالب على أن نكون صادقين فلا نخدع أحدا على الإطلاق، ونطلب نفس الشئ من الذين يتعاملون معنا، ثم حين يخيل إلينا أننا أصبحنا واضحين، وأن كل ما أمامنا مستقيم، ومبين، ومفهوم، إذ ندرك بغتة أن فى الأعماق منا أشياء غامضة عديدة وحكايا لم ينفذ إليها شعاع ولم تضئ بعد، شوارع خلفية فى نفوسنا، هى عالم بأسره غريب عنا يعيش فيه حلم صغير ملح لم يتحقق، نزوة ارتكبناها فى وقت ما، أحقاد مبهمة، أطماع، انفعالات مكبوتة، أو أى شئ آخر يحكم كثيرا من عواطفنا، وتصرفاتنا، دون أن ندرى. وأري أن هذه المقدمة كانت تعبيرا صادقا لرؤية الكاتب التى اهتم بتتبعها فى كل رواياته.

رواية الفلاح

تجمع بين السياسة والحب، والدفاع عن الفلاح المظلوم، وتتحرك بها شخصيات كثيرة فى مواقف مختلفة لمشكلات القرية.

ثانيا : الشخصيات

الشخصية من العناصر الأساسية فى

بنية الرواية.

فالفن القصصى يقوم على خلق الشخصية، ذلك أن النفس الإنسانية هى محور الحركة، وتتحرك الشخصيات في الرواية من خلال أحداث لتعبر عن رؤية الكاتب للكون وللحياة وللإنسان.

شخصية الراوى فى روايات الشرقاوى

أول مايواجهنا فى روايات الشرقاوى من شخصيات، شخصية الراوى، فهو الشخصية الرئيسية بها.

في رواية الأرض يسيطر الراوي على جزء كبير منها، وهو لم يتعد الثانية عشرة من عمره، وهو يسترسل في سرد ذكرياته بعد أن عاد إلى قريته فى عطلة الصيف، وكان فى البداية صبيا، ويتحدث بضمير المتكلم، ويسيطر على المواقف والشخصيات، ويردد أفكاره الخاصة علي ألسنتها، وكأن الشرقاوى هو الراوي.

والراوى فى رواية قلوب خالية كان طالبا بالفرقة الثالثة بكلية الحقوق وفى الشوارع الخلفية، كان بالفرقة النهائية بنفس الكلية، وكان حديثه بضمير الغائب، وفى رواية الفلاح تخرج من الجامعة، وخرج إلى الحياة العامة، واستقر بعمله فى القاهرة وتتطابق مراحل حياة الراوى مع مراحل حياة الشرقاوى، كما يعبر عن أفكاره وهمومه ومشاغله، ويأتي السرد في الرواية غالبا على لسان الراوى حيث يبرز واضحا صوته المفرد، طاغيا على أصوات بقية الشخصيات. وربما كان الشرقاوي حريصا على إقناعنا أن شخصية الراوي تمثله شخصيا، فقد طابق بيسره وسن الراوى مطابقة دقيقة، فالشرقاوى كما يخبرنا عن نفسه من مواليد نوفمبر ١٩٢٠، وعمره على ضوء هذه الحقيقة، يطابق عمر الراوى فى الوقت الذى دارت فيه أحداث الرواية الأرض وهو حريص أيضا على عدم تسمية راويه ولذلك يمكن أن نسمى الراوى بإسمه إذا حلا لنا ذلك والراوى فى رواية الفلاح تتطابق المعلومات عن شخصيته وحياته مع تلك التى نعرفها عن الشرقاوى، فهو يخبرنا عن نفسه، أنه تخرج من كلية الحقوق عام ١٩٤٣ ويذكر فى روايته أن الراوى كان فى عام ١٩٣٥ طالبا فى المدارس الثانوية، ويخبرنا الشرقاوى أنه عاش بباريس لمدة عام، يبدو أنه ترك فى نفسه أثرا عميقا. وراوى الفلاح يحدثنا عن العام الذى قضاه فى باريس.

إن تقديم الراوى للأحداث والشخصيات والقضايا بالروايات يسبب شعور القارئ بتشابه الأجواء والمواقف فيها لأنها تصدر من رؤيته الخاصة رغم اختلاف العمر، وأيضا لأن الأحداث تدور غالبا فى أمكنة لا تتغير وهي دائما في القرية ثم يكون الانتقال آحيانا إلى العاصمة.

إن شخصية الراوي هي أهم الشخصيات في الروايات الأربع، ولم يقتصر دوره على الحكى، والتعريف ببقية الشخصيات، فهو يعبر عن شخصيته هو نفسه، ويتعمق فى التعبير عن نزعاته ومشاعره وأفكاره.

إن الراوي في روايات الشرقاوي يعبر عن الشرقاوى نفسه، وعن المثقف عموما في تلك الفترة.

أما الشخصيات الأخرى فى روايات الشرقاوى كلها فتكاد تكون متشابهة. في ملامحها، وتصرفاتها، وربما كان لذلك التشابه أسبابه وجذوره باعتبار النمط السائد فى القرية المصرية نمطا متشابها لتشابه أساليب الحياة، والظروف السياسية، والاجتماعية، وآثارها على الشخصيات وأفعالها وأقوالها.

اللغة في روايات الشرقاوى:

لغة الروائي بما تحتوى من سرد وحوار هى الطريقة التى يقدم من خلاله روايته، فالكاتب له لغته الخاصة، ولا تتشابه لغة كاتب تماما مع كاتب آخر، حيث نسيج اللغة يتكون خلال مراحل تؤثر مؤثرات كثيرة، منها ثقافته، ونفسيته، والعوامل المؤثرة فى حياته، وتلقيه لألوان الثقافة المختلفة، فلغة الكاتب بصمة خاصة به.

وقد نجحت اللغة فى روايات الشرقاوى في تصوير الإنسان فى قريته.

والسرد فى روايات الشرقاوى يقدم رؤية بانورامية تسع الحياة، والكون، والنّاس.

ويقدم الموضوعات والأحداث من زوايا مختلفة، وتتنوع انطباعاته.

ولغة السرد فى الرواية تتميز بالأسلوب السهل، والشرقاوى يروى الأحداث أحيانا بأسلوب الاعتراف من خلال الضمير أنا، وأحيانا أخرى بضمير السارد الغائب هو.

وقد وظف الشرقاوى أقوال الشخصيات فى رواياته لتقديم آرائه فى الموضوعات المختلفة.

وقد تأثرت لغة الشرقاوى فى رواياته بحبه للأدب الشعبي، وهو يسمى بعض الشخصيات أسماء مستمدة من الأدب الشعبي.

وقد نجحت اللغة فى روايات الشرقاوى فى تصوير الإنسان فى قريته.

وفي النهاية أردت في هذا البحث الإشارة إلى بعض النقاط الأساسية فى روايات الشرقاوي كما تتيح لى مساحة البحث في تقديم القليل من الكثير الذى يستحق المزيد من الحديث.

المراجع:

روايات الشرقاوى

١-الأرض

٢-الشوارع الخلفية

٣-قلوب خالية

٤-الفلاح

الكتب النقدية

١ - أدب عبد الرحمن الشرقاوى -- د ثريا العسيلى -- الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٥

وهذا الكتاب النقدي الوحيد حتى الآن الذي يقدم دراسة نقدية للإنتاج الأدبى كله للشرقاوى ويدرس لطلبة الجامعات فى الماجستيروالدكتوراه.

٢ - الروائي والأرض. -- د عبد المحسن طه بدر.

ويتضمن فصلا عن روايات الشرقاوى

٣- تطور الرواية العربية. د عبد المحسن طه بدر دار المعارف

٤- بحوث ودراسات سيد حامد النساج. دار المعارف. ١٩٧٨

٥- بانوراما الرواية العربية الحديثة. سيد حامد النساج. مكتبة غريب ١٩٨٥

٦ - فى الرواية المصرية. فؤاد دوارة دار الكاتب العربى

٧- الريف فى الرواية العربية - محمد حسن عبد الله - المجلس الوطنى للثقافة -الكويت ١٩٨٩

٨- تجارب فى الأدب والنقد شكرى محمد عياد دار الكاتب العربى

٩- دراسات. فى الرواية. محمد زغلول سلام منشأة المعارف بالإسكندرية

١٠ - نحو رواية جديدة - آلان روب جرييه - ترجمة مصطفى ابراهيم - دار المعارف بمصر

١١- لذة النص رولان بارط - ترجمة. فؤاد رضا دار تويفال المغرب ١٩٧٣

١٢ - الخطاب الروائي ميخائيل باختين. ترجمة محمد برادة دار الفكر للدراسات

١٣ - فنون الأدب -تشارلتون، ترجمة د زكى نجيب محمود،ط لجنة الترجمةوالنشر ص ١٢٨